وانـقـلـب الـسـحـر عـلـى الـسـاحـر

حسن متعب ★

في حين يسميه البعض ربيعا تهب رياحه على الجامعة التي ظلت منذ تأسيسها ليست سوى منتدى للحكام والملوك والرؤساء وحفلا سنويا للخطب لا غير، وهذا البعض يعتقد أن الجامعة بدأت تعي دورها في مساندة الجماهير ضد حكامها الظالمين، متناسين أن الجامعة كانت لها خطوة مماثلة ضد العراق عام ١٩٩٠، حين أعطت لأميركا الضوء الأخضر والغطاء الأخلاقي لحربها ضد العراق بحجة تحرير الكويت والمتتبع لسيناريو الاجتماعين يجد أنهما نسخة واحدة فقد أنهى الرئيس مبارك الاجتماع عام ١٩٩٠، دون استكمال الإجراءات الصحيحة في التصويت، بينما أنهى الشيخ حمد الاجتماع الأخير دون استكمال ذات الإجراءات، وهذا دليل على تكرار اللعبة داخل أروقة الجامعة لتمرير الأغطية المناسبة للتدخل الدولي في شؤون البلدان العربية التي لا تحظى برضا الغرب، ولكن المثير في هذه اللعبة هو أن النظام السوري الآن يشرب السم ذاته الزعاف الذي سقاه العراق عام ١٩٩٠، حين صوت بحماسة إلى جانب ضرب العراق، فقد انقلب السحر على الساحر كما يقال..

الذين يقفون إلى جانب النظام السوري يعتقدون أن هذا تدخل مباشر في الشؤون الداخلية لدولة ذات سيادة، وأن قطر التي تلعب اليوم دورا رئيسيا ومهما في الربيع العربي قد تمادت كثيرا وأفصحت عن وجه قبيح في إثارة الاضطرابات وزعزعة الأمن هنا وهناك، وأن على العرب أن يشعروا بالخجل في وقت يسمحون لأنفسهم فيه بالانقياد وراء مطامح وأحلام أمير قطر بأن يكون لاعبا دوليا مهما على حساب مصالح الأمة العربية ودماء أبنائها.. أما في سوريا فإن المعارضة ومجلسها الفرانكفوني يعتبر هذا القرار بداية النهاية لنظام الأسد وأن العد التنازلي قد بدأ، وأن الخيار العسكري قادم بعد خطوات عدة منها عقوبات مشددة وحصار سياسي عربي ودولي، في حين يرى النظام السوري أن الحرب ضده باتت معلنة وأن طرفيها الإقليميين تركيا- قطر هما أدوات أميركية لتركيعه وإسقاطه، ولكنه بالمقابل يعتمد في بقائه على ركيزتين مهمتين؛ الأولى داخلية تتمثل بالتفاف قطاعات واسعة معه ليس تأييدا مطلقا له بل لتحسس السوريين من التدخل الأجنبي أولا خصوصا بعد ما حدث في العراق وفي ليبيا، والثانية لأن الأسد قد بدأ فعلا ببعض الإصلاحات التي ضاعت أصداؤها في ظل الحراك القطري التركي واستعجال الجامعة في اتخاذ قرارها.. أما الركيزة الثانية فتتمثل بمحور الدعم الخارجي الروسي الصيني الإيراني، إضافة إلى دول أخرى مثل الهند وأندونيسيا والبرازيل وأميركا اللاتينية وجنوب إفريقيا ولكن هذه الدول باستثناء إيران، لا تظهر دعمها الكامل للنظام، بل إنها تعلن دعمها للحوار الجاد بينه وبين المعارضة ودعمها أيضا للحلول السلمية للأزمة الراهنة، وبهذه المبررات وقفت الصين وروسيا ضد اتخاذ أي قرارات دولية للتدخل العسكري في سوريا، الأمر الذي دعا قادة الأخوان المسلمين الى الطلب من أردوغان أن تقوم تركيا بحملة عسكرية لدعم المعارضة وإقامة منطقة محمية على الحدود السورية التركية، تشكّل قاعدة يلجأ إليها المعارضون والمنشقون العسكريون لشن هجماتهم المسلحة ضد النظام كعمل مماثل لنموذج بنغازي في ليبيا، وهم يأملون أنه فيما إذا نشبت حرب بين سوريا وتركيا فإن حلف الناتو سوف يتدخل لحماية ودعم أحد أعضائه، وبالتالي تسهل مهمة إسقاط النظام، ولكن اردوغان اشترط تفويضا أمميا أو أوروبيا للقيام بهذا العمل..وتحسبا لمثل تحقق هذا السيناريو فقد عمد النظام السوري إلى توجيه فرقتين عسكريتين إلى الحدود التركية، وإعلان المنطقة المحاذية منطقة حركات عسكرية لا يسمح التحرك فيها إلا بإذن خاص، وهو أمر شبيه تماما بمنطقة الجولان المحاذية لإسرائيل، وجاءت هذه العملية بعد ساعات قليلة من وصول وفد مشترك كبير من ضباط هيئة الأركان في الجيش الإيراني وضباط هيئة أركان (الحرس الثوري)، وبعد يومين على ما كشفته صحيفة (الصباح) التركية بشأن وجود اتفاق بين المجلس الوطني السوري الذي يسيطر عليه الأخوان المسلمون ومجموعات مرتبطة بوكالة المخابرات المركزية الأميركية والمخابرات الفرنسية ودول الخليج لإقامة محمية عسكرية تركية لهذه المجموعات داخل الأراضي السورية تكون منطلقا لعمليات عسكرية في بقية أنحاء سوريا..

وبين النظام السوري ومؤيديه وبين معارضيه الذين يجوبون عواصم النفط الخليجي والاستعمار الغربي والطربوش التركي، ثمة فئة أخرى تتسم بنوع من الواقعية والعقلانية في تعاملها مع الأزمة الحالية، فئة معارضة بكل معاني المعارضة الوطنية الصادقة، هؤلاء من يدعون إلى تغيير النظام لأنهم يجدون أنه من المهين لشعب سوريا أن يبقى محكوما لعائلة واحدة طيلة ما يزيد على أربعة عقود مع تنامي الفساد والمحسوبية والفقر والتخلف ولكنهم في الوقت نفسه يدركون أن أي اتجاه نحو الغرب أو السلفية الخليجية ستدفع بالبلاد نحو حمامات من الدم وستدفع سوريا إلى التقسيم الطائفي، كما جرى في العراق وليبيا، هذه الفئة ضد النظام لأنها تعتبره نظاما فاسدا وعاجزا ولكنها ضد الاستعانة بالأجنبي حيث لا ضمانة بعد ذلك لحرية الشعب ووحدته..

ولكن النظام السوري يراهن على الوقت إذ كلما صمد أكثر بوجه الهجمات التي تطرق أبواب دمشق، من حصار إلى عقوبات إلى أعمال شغب وهجمات ضد قواه المسلحة، كلما تمكن من إنهاك المعارضة التي لم تستجمع قواها بعد رغم الدعم العربي والدولي الكبير الذي تتلقاه، وأيضا يتمكن من استكمال عمقه العراقي الإيراني الذي برز واضحا وجليا في امتناع العراق عن التصويت ضد قرار تعليق عضوية سوريا، والقرار الإيراني بتسهيل شراء جميع المنتجات الصناعية والزراعية السورية لكسر الحصار الاقتصادي عليها..

أما الغرب المنقاد إلى أميركا ومعه أنقرة وقطر والسعودية، فهم يقومون بحملة واسعة لإصدار قرارات دولية تبيح شن الحرب ضد دمشق من جهة، ومن جهة أخرى تقديم الدعم السياسي والمادي إلى المعارضة بعد أن أدرك الجميع صعوبة الخيار العسكري ليس لأن سوريا قادرة على المقاومة بل لأن الثروات السورية غير قادرة على تسديد الفواتير والنفقات لمثل هذه الخطوة..

ويبقى في النهاية على الأسد أن يقرأ التحديات بشكل صحيح وأن يحاول بناء الأسوار والتحصينات حول بلده ليصمد ويبقى وليس حول نظامه لأنه في كل الأحوال آيل للسقوط..

★ كاتب وإعلامي مقيم في استراليا

قرار الجامعة العربية بتعليق عضوية سوريا شكل مفاجأة غير متوقعة للجميع، مفاجأة من حيث سرعة الإجراءات التي تم فيها اتخاذ هذا القرار، ومفاجأة من حيث قوة الاصطفاف العربي تجاه بلد عربي، وشكّل هذا القرار صدمة للسوريين الذين لم يتوقعوا مطلقا أن تصل الأمور وبهذه السرعة إلى هذا المستوى من التعامل الذي يسميه الكثيرون مؤامرة أميركية قطرية تستهدف إسقاط نظام الأسد واستبداله بآخر يخدم المصالح الأمريكية في المنطقة ويحقق أهدافها في محاصرة إيران وقطع يدها الممتدة إلى لبنان وفلسطين،

الحسين.. الثورة الإنسانيّة المتجدّدة

إياد مهدي عباس

لقد جسّد الإمام الحسين عليه السلام إرادة الإنسانية في الخلاص من الظلم والقهر والاستبداد من خلال ثورته الجهادية التي لم تنحصر في زمان معين ولم تكن ضد حاكم بعينه إنما هي رسالة إنسانية ذات بعد توثيقي مرتبط بمبادئ وقيم الحق وأسس العدالة الاجتماعية..

فالثورة الحسينية التي حمل لواءها الحسين بن علي بن أبي طالب لم تكن تبحث عن البعد الزمني الحاضر ولم يكن الحسين عليه السلام يعالج اللحظة الراهنة التي كان يعيشها فقط، وبمعنى آخر أن هذه الثورة ليست ثورة اللحظة الراهنة ولا تقاس بالنصر أو الهزيمة لأنها ثورة مستقبلية يراد من خلال التضحية الكبيرة التي قدمها الحسين أن تبقى على مدى العصور تعطي الجرعات الثورية للمستضعفين في كل زمان ومكان.

ولقد كان قدر الإمام الحسين عليه السلام أن يقود تلك الحقبة التاريخية التي شهدت صراعا بين قيم الحق والعدالة السماوية والإنسانية وبين حركات الفساد والردّة الأموية التي مارست جميع أنواع التمييز والفساد والطغيان والمجون واستعباد الناس وحرمان الفقراء من حقوقهم.

فكانت ثورة الحسين وانطلاقته من المدينة المنورة إلى كربلاء من اجل أن يقود حركة الإصلاح لتكون ثورته نهضة سياسية واجتماعية وأخلاقية تجسد مفاهيم العقيدة الإسلامية وقيم السماء وتعطي دروساً للبشرية في جميع مكارم الأخلاق والسمو الإنساني التي تمثلت بحجم التضحية التي قدمها الحسين وأصحابه وأهل بيته الذين عرفوا بتمسكهم بالقيم والفضائل الحميدة في سبيل إيقاف نزيف القيم والمبادئ التي جاء بها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاءت بها جميع الشرائع السماوية لأن الثورة الحسينية كانت الوريث الشرعي لكل تلك الرسالات الإصلاحية التي جاء بها الأنبياء من اجل الدفاع عن حقوق البشر ونشر القيم ومكارم الأخلاق.

من اجل هذا نقرأ في الزيارة عندما نزور الإمام الحسين عبارة (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله.. وهكذا جميع الأنبياء) بصفته وريثاً لهم ولرسالاتهم التي جاءوا بها.

ومن اجل هذا يقول النبي (صلى الله عليه واله وسلم) "حسين منّي وأنا من حسين". لأن الحسين هو من سيعمل من خلال ثورته على تصحيح المسار واستمرار الدعوة الإسلامية كما أراد لها الرسول وكما أراد لها الله تعالى.

وإذا ما دققنا النظر في المسيرة الحسينية نراها الامتداد المستمد من الرحمة الإلهية المتمثلة بالنبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن نؤمن كما غيرنا من فلاسفة وشخصيات شهدت بمكارم الثورة الحسينية كالفيلسوف الإنكليزي وليم لوفتست يقول (لقد قدم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذّة)، وهذا المستشرق الأميركي كوستاف كروينام يقول (لقد أثرت الصورة المحزنة لمقتل الحسين الرجل النبيل الشجاع في المسلمين تأثيرا لم تبلغه أية شخصية مسلمة) والباحث الإنكليزي جون اثر يقول (إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي)، وقال محرر الهند المهاتما غاندي (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر) وهذا الالتقاء مع الإمام الحسين لبعده الإنساني مع فكره وسلوكه ومبادئه السامية برفضه الظلم والاستعباد والفساد والإرهاب.إنهم مع الإمام الحسين (ع) ومتأثرون بشخصيته الإنسانية وأخلاقه النبيلة السامية وسلوكه وتضحياته وثباته. إذ لابد من إيصال مضامين الرسالة الحسينية إلى جميع أنحاء العالم فمن حق كل إنسان في العالم أن تصل إليه معارف ومبادئ النهضة الحسينية كونها نهضة ليست لفئة واحدة من المسلمين ولا حتى للمسلمين فقط إنما للبشرية جمعاء وهذا ما يجعلها ثورة إنسانية قبل أن تكون إسلامية.

على هامش الصراحة

▪ إحسان شمران الياسري

المستكاوي رجع!!

لم تزل المسرحية الشهيرة (شاهد مشافش حاجة) تتجدّد في مقدار الإمتاع والدهشة التي توفرها للمشاهدين. وكلما شاهدناها، قفزت إلى أذهاننا عدة أسئلة.. أولها عن فحوى القصة التي فيها.. فليس ثمة قصة في هذه المسرحية.. إنها قصة رجل طُلب منه أن يكون شاهداً على جريمة.. ولم يقدم ذلك الشاهد أية فائدة للقضية، لأنه ببساطة لم يرَ شيئاً، إلا عندما قدم وصفاً عن شاحنة كانت متوقفة في الشارع.. ولما وصف الرسم الذي كان عليها، تطابق مع أوصاف سيارة الجاني.. أما باقي المسرحية فهي بناء فني لانفعالات وتداعيات رجل بسيط أوقعته الظروف بيد المحققين، ليتغيّر لاحقاً ويفقد براءته وعفويته.. الخ..

وكان ضمن جلسة المحاكمة المحامي (خليفة خلف الله خلف خلاف المحامي) الذي أرعب الشاهد بحركاته، فاعتقد انه (حانوتي) جاءت به المحكمة لدفنه بعد أن تصدر قرار إعدامه!!.. ثم استقرت تسميته لدى الشاهد بـ (المستكاوي). ولا نعرف ما هي المهنة أو الصنعة التي يطلق عليها أعزاؤنا المصريون تعبير (المستكاوي)، غير أن هذا المحامي كلما هدأت أسارير الشاهد يعاوده بالحدّة المعهودة، فيفّز الشاهد ويصيح مستغيثاً: (المستكاوي رجع!!)..

أما مسرحية الحياة الجميلة التي نحن أبطالها بامتياز، فإن ثمة (مستكاوي) يختفي كل فترة ثم يعود إلينا حاملاً (دلوه)، ومبتدعاً أصنافاً جديدة من التصريحات والتقولات والرؤى..

هذه المرة المستكاوي كان امرأة.. لا ندري إن كانت سيدة أم آنسة، دكتورة أم حاجّة.. وقد بدّلت ولاءاتها وكتلتها ومُلهمَها عشرات المرات.. وكلما ظهرت على الشاشة وضعتُ يدي على قلبي.. لأنها تثير عندي الاشمئزاز من السياسة والسياسيين والناطقين والمستشارين..

وأنا لا أرفضها لذاتها لأني لا أعرفها، وهي محترمة من جهة إنسانيتها وشخصها، بيد أني أرفض النموذج الذي يسكن الاستوديوهات، باحثاً عن فرص التصريحات التي تشعل النيران، ولا تضيف لمعلوماتنا شيئاً، غير أنها تضيف لمعاناتنا الكثير.

ولو كانت ذاكرتنا الجمعية محصنة من النسيان، لذكرنا تصريحات أمثال هؤلاء السياسيين والمستشارين حيث يُقلبونا على النار ثم يضحكون في ما بينهم.. ولقد كنت شاهداً في أحد فنادق عمان الكبرى على معركة بالتصريحات بين اثنين من السياسيين، حيث صرّح الأول للقناة وأنا استمع، ثم تنحى جانباً وجاء الآخر فصرّح للقناة ذاتها، فأظهر الأول مجرما طائفيا تابعا لدولة مجاورة كما فعل الأول. وبعد انتهاء التسجيل سحب أحدهم الآخر من يده ودخلا مطعم الفندق!

إن المستكاوي، وهو (حانوتي) هذا الزمان، مستعد لقول أي شيء ليرفع حرارة الموقف، تماما كما يفعل فيصل القاسم في اتجاهه المعاكس، غير أن فيصل القاسم يختارهم بعناية.

كاريكاتير

■ عادل صبري

الحُسين.. الثورة التي لا تنطفئ

حسين علي الحمداني

في السنوات الماضية كنا نكتب عن ثورة الأمام الحُسين عليه السلام، ربما كنا نكتب لأنفسنا، وواجبنا اليوم أن نكتب للآخرين الذين كانوا يسألوننا من هو الحُسين؟ كنا نجيبهم، ولكن إجاباتنا كانت تصادرها مقاص الرقباء في الأنظمة التي تهاوت فلا تصل لمن نريد إيصالها لهم فتبقى الأسئلة بلا جواب.

كان البعض يتصور بأن الحُسين إمام الشيعة وحدهم،وبالتالي يجردونه من إنسانيته ومن فروسيته وإسلاميته، وربما كان البعض يستهزئ بنا ونحن نبكي مصاب الحُسين عليه السلام، ربما وصفونا بالجهلة وما طاب لهم من أوصاف،وهم معذورون في ذلك لأنهم لا يعرفون من هو الحسين؟ ذات مرة سألني أحد الأشقاء العرب.. من هو الحُسين؟ حين قلت له إنه ابن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء وجدّه الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.. لم يصدق!! ومبعث عدم تصديقه بأنه لم يقرأ شيئاً عن الحُسين، كل ما يعرفه عنه هو ما تعلمه في مدارس الحكومة في منهج التاريخ، بأن ثمة معركة وقعت سنة ٦١ هجرية بين (خارجين على ولي الأمر) وبين ولي الأمر الذي هو الخليفة، انتهت بمقتل هؤلاء في غضون ساعات قليلة؟ من هؤلاء؟ هذا هو السؤال الذي ترفض كتب التاريخ المدرسية أن تذكرهم،أو بعبارة أدق يرفض الطغاة أن يذكروهم.

هؤلاء آل بيت النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم الطفل، والشيخ،والشاب،لم يخوضوا معركة تقليدية، لأنه في المعارك التي نقرأ أحداثها لا يصطحب العسكر عوائلهم معهم ولا أطفالهم،وقبل هذا وذاك يعدون عِدة القتال، ولكن في واقعة كربلاء، لم تكن هنالك ثمة معركة بل هنالك كانت شرارة ثورة لابد منها، هذه الشرارة ظلت حتى هذه اللحظة متّقدة في عروق كل المظلومين في الأرض،تمنحهم الأمل بأن الإنسان الثائر هو المنتصر في النهاية.

وربيع العرب أثبت بأن الطغاة يتساقطون كأوراق الخريف، يتساقطون بإرادة إلهية تبعث في جسد الشعوب المتطلعة للحرية، الشعوب الرافضة للظلم والاستبداد والذل، فتكون صيحة الثوار في ساحات التحرير وميادينها مدوّية تتلقفها السماء وتتعامل معها على أنها دعاء المظلومين، والمظلوم هو الذي ينتصر، غاندي هذا الرجل الهندي يقول تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً لأنتصر.

اليوم حين نستذكر العاشر من محرم الحرام، علينا أن نستذكره بوجه آخر وننظر إليه من زاوية أخرى، زاوية الثورة وزاوية الحرية وزاوية تساقط الطواغيت عن عروشهم، وقبل هذا وذاك ننظر لدواخلنا التي استحضرت قيماً حاول البعض تغييبها عنا سنوات طويلة، هذه القيم حين استحضرناها، بعثت فينا أشياء كثيرة، أولها تحطيم جدران الخوف في دواخلنا، والخوف من قمع الطغاة، فكانت قوافل الشهداء في طريق الحرية تتقدم مواكبنا ونحن نطالب برحيل الطغاة عن عروشهم التي قيدت الشعوب وصادرت حقوقهم، حين استحضرنا جزءاً من قيم ثورة الإمام الحُسين ومبادئه العظيمة، تمكنا من أن نستعيد حقوقنا وأولها حقنا في رفض الباطل، ورفض الظلم،وعدم الاستكانة إليه.

قبل ١٤٠٠ سنة وبالتحديد عام ٦١ هجرية دوت صرخة ثائر ملأت أرجاء الأرض، الثائر الأول في التاريخ الإنساني، ثائر لم يكن يطلب سلطة وعرشا يعتليه،بل كان يطلب الإصلاح في أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يجد من ينصره (ألا من ناصر ينصرنا)، سبعون ونيّف كانوا معه؛ وسبعون ونيّف من أمة دخلت الإسلام أفواجا، سبعون ونيّف كانوا قادرين على أن يوصلوا الثورة لمدياتها التي وصلتها، لم نفكر بأنهم منحونا قبل ١٤٠٠ سنة ربيع الحرية، وربيع العدالة، وربيع الإنسان.

إنه الإصلاح الذي تطالب به الشعوب بعد كل هذه القرون،لتؤكد أن ثورة الأمام الحُسين ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، وستظل جذوتها متّقدة حتى يزول الظلم والظالمون.

في العاشر من محرم من كل سنة هجرية تتدفق الأسئلة لدواخلنا باحثة عن أجوبة لها، وكل منا لديه من الأسئلة الكثير، نبحث عن الإجابات بين ثنايا كتب التاريخ وبين أسطرها التي مررنا عليها في سنواتنا السابقة.

ولكننا اليوم ونحن نعيش أجواء الربيع العربي الذي أسقط طغاة من عروشهم وجعلهم لمزبلة التاريخ يذهبون بعد أن أمضوا ما أمضوه في الحكم والطغيان، ونحن في هذا الجو الثوري العربي، يأتي إلينا العاشر من محرم الحرام، تكون الأجوبة حاضرة بيننا عن أسئلة كنا نطرحها باحثين عمّن يجيب عليها ويترجم الإجابة هذه لأفعال ملموسة.